

عظة في رقاد والدة الإله

القديس يوحنا كرونشتادت

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

لنفرخ أياً الإخوة والأخوات المحبوبون لأننا ننتمي إلى الكنيسة الأرثوذكسية المقدسة، ولنمجد بحق والدة الإله الفاتكة القداسة في هذا اليوم البارز بين كل أيام السنة بوقار خاص. هناك على الأرض العديد من المجتمعات والبلدان التي بأكملها لا تراعي الحاجة أو الالتزام بالدعوة وتمجيد ملكة السماء والأرض، والدة ربنا الإله يسوع المسيح، والقديسين والملائكة؛ ولا تكرمها بطاعة ومحبة، لكونها والدة الله الحقيقية. للأسف، بيننا في روسيا في هذه الأيام هراطقة يحرقون بنشاط والدة الإله والقديسين وأيقوناتهم ورفاتهم وأعيادهم. حبذا لو أنهم باتفاق الآراء معنا يمجّدون ملكة السماء والأرض الشريفة!

اليوم الكنيسة المقدسة تمجد احتفالياً رقاد والدة الإله أو انتقالها من الأرض إلى السماء. يا للانتقال الرائع: رقدت بسلام من دون مرض مستفجل. زفعت روحها بين يدي ابنها الإلهيتين وحملت إلى المسكن السماوي، مصحوبة بإنشاد الملائكة العذب. وبعد ذلك، نقل الرسل جسدها الفائق النقاوة إلى جثسيماني حيث دفن بشرف، وفي اليوم الثالث أقيم وأصعد إلى الملكوت. تزون هذا في أيقونة رقاد والدة الإله، إذ يظهر جسد والدة الإله الحامل الحياة ممدداً على نعش، محاطاً بالرسل ورؤساء الكنيسة، وفي وسط الأيقونة يظهر الرب حاملاً بين يديه روح والدة الإله الفاتكة النقاوة. إن انتقال والدة الإله هو نموذج لانتقال أرواح المسيحيين إلى العالم الآخر بشكل عام.

نحن نقول إن موتانا قد "رقدوا" أو "انتقلوا". ماذا يعني هذا؟ هذا يعني أنه لا يوجد موت بالنسبة للمسيحي الحقيقي. غلب المسيح الموت على الصليب. لكن هناك انتقال، أي إعادة ترتيب لوضع الإنسان، أي أن روحه في مكان آخر، في زمن آخر، في عالم آخر وراء القبر، أبدياً بلا نهاية، هذا هو المقصود بـ "الرقاد". يبدو الأمر كما لو كان حلاً مؤقتاً، وبعد ذلك، وبصوت الرب وبوق رئيس الملائكة الرهيب والرائع، يقوم جميع الأموات ويتقدمون كل واحد إلى مكانه: إما إلى قيامة الحياة أو إلى قيامة الدينونة (يوحنا ٥: ٢٩). هذا ما يعنيه المسيحي بالانتقال. يجب أن نكون مستعدين لهذا الانتقال، ليوم القيامة العامة والدينونة، لهذا الحدّ الكوني الفائق الوصف، والمدوّن في الكتاب المقدس.

هذا التحضير للقاء الملك السماوي أمام كرسي الدينونة المخيف، بعد الموت، هو في الأساس استعداد الشخص طوال حياته. هذا التحضير يعني التغيير في كل أفكاره، التغيير الأخلاقي لكل كيانه، بحيث يكون الإنسان كله نقياً وأبيض كالثلج، غاسلاً كل ما يفسد الجسد والروح، متزنباً بكل فضيلة: التوبة والوداعة والتواضع واللفظ والبساطة والعفة والرحمة والإمسك والتأمل الروحي والمحبة القوية لله والقريب.

إن استعدادنا للقاء الملك السماوي، وميراث الحياة الأبدية في السماء، يجب أن يقوم على هذه الأمور. يشتهي الملك السماوي نفوساً مزينة بفضيلة ثابتة، أرواحاً مهياًة ليقم فيها الرب نفسه. لا تتعجبوا من أن الرب نفسه

يريد أن يسكن فينا. والحقيقة أن النفس البشرية هي أكثر اتساعاً من السماء والأرض، لأنها قائمة على صورة الله. وإذا أزال المرء الخطايا من الروح، فإن رب الكل يستقر فيها ويملؤها بنفسه. يقول الرب عن النفوس التي تحبه: "إِلَيْهِ نَأْتِي وَعِنْدَهُ نَضَعُ مَنزِلًا" (يوحنا ١٤: ٢٣).

إذاً أيها المحتفلون بالأعياد المسيحية، ولا سيما العيد الحالي، عيد رقاد والدة الإله، يا مَنْ تزيّنوا بإشراق بكل فضيلة وانتقلوا إلى الملكوت السماوي، إلى ابنها وإلهها، نادوا الجميع إلى تهيئة نفوسهم لتكون مسكناً للرب، نادوا بالتوبة المستمرة وزينة الفضيلة المسيحية التي لا تفسد. اعملوا على أن تكون أواخر حياتكم أيضاً سلامية بلا خزي وجواباً حسناً لدى منبر المسيح المرهوب. آمين.

Source: St. John of Kronstadt. Sermon on the Dormition of the Most Holy Theotokos. Orthochristian. 8/27/2012.
<https://orthochristian.com/55710.html>

